اللغة العربية في الجامعة الجزائرية –واقع وتحديات–

The Arabic language in the Algerian university

– fact and challenges –

طالب دكتوراه، حضري محمد الأمين

مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن– معهد الترجمة، جامعة وهران 1 – (الجزائر)

Hadri4100@gmail.com

تاريخ الإرسال: 17 /2020/04	تاريخ القبول:2020/05/07	تاريخ النشر 2020/05/30

ملخص البحث

لقد أصبحت اللغة العربية رمزا للبعد عن العلم في منظوره التقني وباتت لصيقة بالآداب والحقوق وعلم الاجتماع وهي علوم استطاعت أن تجيد فيها فنون الكر والفر لا غير .ومن هنا سأحاول في هذه الورقة البحثية أن أعالج موضوع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية –واقع وتحديات – إذ سأقدم مسحا شاملا لواقع الجامعة الجزائرية منذ دولة الاستقلال إلى يومنا هذا عبر كل المستويات والطروحات التي عاشت الجامعة مخاضها وما تولد عنها من ارتكاز وانتكاس .وعن طريق ذلك أدعو إلى إعادة النظر في مألوف لم تؤت ثماره فكان لا بد من رؤية أخرى تأتي عن طريق التغيير في أنماط قديمة وهذا ما سميته تحديات .وإن الواقع في بعده الحقيقي يعطي لنا الوضع القائم كما هو وعن طريقه نقدم البدائل النوعية والصياغة الجديدة لبعد مستقبلي يعمل على ردم بعض الانتكاسات التي لوحظت تردي أوضاع العربية في الجامعة الجزائرية.

الكلمات المفتاح : لغة عربية ؛ جامعة جزائرية ؛ واقع ؛ تحديات.

Abstract

The Arabic language becomes far from sciences specially in their technic aspects but so closed to the littérature , law and social science , in which it finds itself at ease .Focusing on this aspect , i will treat the topic of the Arabic language in the Algerian university , by scaning the reality of the Algerian university since the independence to newdays at all levels and circumstances , and through this , i invite to review the use of Arabic languages in the Algerian university which demand on other vision through changing the old methods and that is what i called challenges .

المرسل:Hadri4100@gmail.com

The fact of the Algerian university gives the deep reality of the Arabic language through which we will give new valuable versions for the future of the Arabic language .

Keywords : arabic language ; Algerian university ; fact ;challenges.

مقدمة:

تعد اللغة العربية أمتن اللغات الانسانية تركيبا ،وأوضحها بيانا، لأنها لسان فصاحة وبيان بلاغة، كانت ملكة زمانها ومدعاة فخر العرب وتباهيهم في الجاهلية ،ولما تشرفت بحمل معاني القرآن زاد رقيها ، وتبوأت مكانة أسمي وأرفع تزايدت بتوالي العصور، وظلت بعراقتها وتجددها ملائمة لها ،شامخة بكبرياء عبرها ، ضاربة بجذورها في عمق التاريخ ، ومستوعبة لمتطلبات التجديد ؛إلى أن حل عصرنا الحاضر بدأت اللغة العربية تنحني عن عرشها الذى اعتلته أحقابا وأزمانا إلى أن أصبحت غير مؤهلة للبحث العلمي في الجامعة الجزائرية .نتيجة للعولمة والانشطار اللغوي المتزايد لصالح اللغات الأجنبية والذي يكاد يقضي على لغة الضاد خاصة في مرحلة التعليم العالي. فأصبح اليوم أغلب الطلبة يستعملون في أحاديثهم التواصلية مع الأساتذة اللغات الأجنبية، ويعدون ذلك تحضرا وانفتاحا على الآخر، وكذا ضنا منهم أنه سبيل لبناء مستقبلهم التعليمي والمهني فيما اتخذ الاخرون عجز وافتقار اللغة العربية للمصطلحات التقنية والعلمية والتكنولوجية كذريعة لعدم استعمال لغتهم الأم وأن القيام بتقنية الترجمة تستنزف منهم الوقت و الجهد، كما نشير أن الأمر لا يقتصر على هذه الشريحة فحسب بل تعداه إلى الأساتذة والمؤطرين الذين تلقوا مختلف تكوينهم باللغة الفرنسية .

وباعتبار أن البحث العلمي و الجامعة هي القلب النابض في المجتمع ، وبما أن الحضارة الانسانية لا تكون دون نهضة لغوية ، لأن اللغة جزء لا يتجزأ من السيادة والوعي الفكري ، والحفاظ عليها هو حماية لهذه السيادة إذ أنها أساس الوحدة ،ورمز الهوية كان لزاما على أبنائها المخلصين إثارة وعي القيادات الفكرية و المسؤولين على هرم العملية التعليمية–التعلمية التحسيس بخطورة الوضع المهين الذي تعيشه لغتنا الراقية للقيام بمجموعة من الاصلاحات التي تمكنها من استرجاع مكانتها العلمية ومن هنا جاءت فكرة هذه المداخلة الموسومة ب: "اللغة

العربية في الجامعة الجزائرية – واقع وتحديات-"التي تندرج في **"الملتقي العلمي الأول حول التعليم العالي وتعليمية اللغات في الجامعة الجزائرية "**

منهج البحث : تم إعداد هذا البحث وفق المنهج التحليلي الوصفي معتمدا علي دراسة واقع اللغة العربية في التعليم العالي إضافة إلى جملة من الاصلاحات التي ينبغي أن تعرفها الجامعة الجزائرية.

فرضية البحث : من المفترض خلال البحث أن واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية يحتوي على أهم المراحل التي مرت بها اللغة العربية علاوة على التحديات و الاقتراحات التي يمكننا من خلالها الرقي بالتعليم العالي باستعمال لغة الضاد.

أسئلة البحث :جاءت إشكالية البحث في شكل تساؤلات من أهمها ما يلي : ما هو واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية ؟ وما مدي استخدامها في البحث العلمي؟ ماهي أهم المراحل التي شهدتها اللغة العربية؟ هل ساهمت تقنية تعريب العلوم الانسانية و التقنية في النهوض باللغة العربية ؟ ماهي أهم الاصلاحات التي يجب أن يوليها المجلس العالي للغة العربية للرقي باللغة العربية في التعليم العالي ؟

أهمية البحث و ضرورته :تستمد هذه الدراسة أهميتها من موضوعها الذي يحلل واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية و كذا مواجهة النقائص التي تعاني منها في ظل الزخم الهائل للمصطلحات الحديثة للغات الأجنبية للخروج في الأخير بنتائج تمكننا من رد الاعتبار للغة القرآن في التعليم الجامعي الجزائري.

ولهذا نحاول من خلال هذه الورقة البحثية التطرق لتقديم دراسة شاملة حول واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية وكذا النقائص التي تعاني منها في ظل اكتساح لغات العولمة وفي الأخير نحاول اقتراح مجموعة من الاصلاحات و التحديات لعلها تكون سببا للنهوض بلغتنا الحبيبة، وذلك وفق الخطة التالية :

- **مقدمة**

المبحث الأول :اللغة العربية في الجامعة الجزائرية .

–الباب الأول: واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية

–الباب الثاني: مراحل اللغة العربية في منظومة التعليم العالي .

المبحث الثاني: الصعوبات التي مرت بها اللغة العربية في الجامعة.

المبحث الثالث : التحديات و الاصلاحات للنهوض باللغة العربية في الجامعة الجزائرية.

- **خاتمة وتوصيات**

المبحث الأول :اللغة العربية في الجامعة الجزائرية .

الباب الأول: واقع اللغة العربية في الجامعة الجزائرية

تندرج هذه الدراسة ضمن مساعي ترقية اللغة العربية في التعليم العالي باعتبار أن العلاقة وثيقة متينة بين اللغة وجميع أقطاب العملية التعليمية التعلمية وهي التي تضمن التواصل بين المدرس والدارس وهي ليست وسيلة للتخاطب والتواصل فحسب بل هي الأداة الناقلة للعلم والمعرفة والثقافة و الحضارة، فهي منزل الكائن البشري على حد تعبير " **جورج هيغل" George HEGEL**" لذا فإن الفرد يتأثر باللغة التي يستعملها فينعكس ذلك على نمط تفكيره وآرائه وتصوراته وسلوكاته[1]"

وعند استقراء واقع استعمال اللغة العربية في التعليم الجامعي منذ الاستقلال نجده متدهورا فاللغة العربية مازالت تعاني نتيجة لمخلفات الاستعمار الفرنسي بسبب منافسة اللغة الفرنسية لها وكذا اللهجات المحلية التي أبعدت أقطار البلد الواحد بالرغم من مساعي الدولة الحثيثة لتعميم استعمالها بعد مجيء قانون الترجمة و التعريب عبر مختلف مراحل التعليم .

إن التدريس في التعليم الجامعي الجزائري لازال باللغة الفرنسية في التخصصات العلمية والتقنية أما التخصصات الانسانية والاجتماعية فتدرس باللغة العربية. ولأن دراستنا هذه تسلط الضوء على واقع اللغة العربية في التعليم العالي الجزائري تجدر الاشارة إلى أن الخطر الذي كان ولا يزال يهدد كيان اللغة العربية في عقر دارها هو تلك اللهجات المتداولة بين شريحة الطلاب والأساتذة ناهيكم عن مزاحمة اللغة الفرنسية لها حيث نجد تأثير اللغة الأجنبية واضحا في المعجم اللغوي للأساتذة والطلبة.

إنّنا نستطيع استكشاف مكانة اللّغة العربيّة في ميدان البحث العلميّ، من مكانتها في التّعليم الجامعيّ؛ فهو الرّافد الأساس للمستهدّف، وفيه يتعلّم الدّارسون الأصول والقواعد المتعارف عليها في إجراءات البحوث، والّتي أضحتْ موضوعها اليوم؛ إذ أنّ كلّ فرعٍ ناتجٍ عن أصلٍ مقبولٌ، وكلّ فرعٍ لا ينتمي إلى أصلٍ فهو مردودٌ وهذا هو مبدأ العلم و أصل العمل. و لذا نكرّر في خدمتنا للغتنا العربيّة، التّطويرَ و مراكبةَ العصر، المرتبطَيْن وشيجًا بالتّأصيل[2] ومع ارتباطنا منهجيًّا بالتّأصيل في بحوثنا فلابدّ من التّجديد؛ إذ أنّ لكلِّ عصرٍ مناهجَه و أساليبَه، والمناهجُ التّقليديّةُ في البحث كانت جيّدةً و جديدةً في عصرها، غير أن صيرورة الزّمن وشأنَ الأمم الحركةُ المستمرّةُ الّتي تقتضي مع التّأصيل التّجديد والتّطوير[3].

نحن الآن نعالج قضيّة مكانة اللّغة العربيّة في البحث العلميّ من موقفٍ تجاوزنا عنده مسألة صلاحيتها للعلم و الحضارة المعاصرة؛ لأنّ هذه المقولة "مبنيّةٌ على الاعتقاد بأنّ امتداد هذه المناظرة يشكّل انزلاقًا تاريخيًّا، بعد أن قطعت اللّغة العربيّة كلّ تلك الأشواط المثيرة للإعجاب، كمًّا و كيفًا، في سبيل أن تكون اللّغة المعتمدة لمجتمعٍ عربيّ معاصرٍ متجدّدٍ متحمّلٍ لمسؤوليّاته سواءٌ أكانت باتّجاه ماضيه و تراثه أم باتّجاه حاضره ومستقبله، أم باتّجاه خير الإنسانيّة وارتقائها[4]وينبغي أن ندرك أنّ معالجة العربيّة في مجال البحث العلميّ تلزمنا بمعالجاتٍ متعدّدةٍ، منها: استخدام الحواسيب واستخدام المعاجم الموحّدة، و ثُنائيَّة اللّغة. و كلُّ ذلك يشكّلُ حاجاتٍ الأساس للبحث العلميّ المتطوّر الّذي نرتجيه للغتنا العربيّة الجامعة[5] والحاجة أكبر لمعاجم المصطلحات المتخصّصة.

وإذا حاولنا رصد واقع اللغة العربية بين طلابنا الجامعيين، لوجدنا كوارث يندي لها الجبين، ويمكن أن نلخص هذا الواقع في النقاط الآتية:

- ❖ الخجل من اللغة العربية
- ❖ اعتبار اللغة العربية لغة أكل عليها الزمن وشرب
- ❖ طغيان الفرنسية على البحوث العلمية ومنه يمكن القول أنه لا يمكن العيب على اللغة العربية بل في أبنائها ، فلو عملوا مثلما عملت الصين وكوريا واليابان لكانت العربية الان الأولى عالميا، لكنهم آثروا لغة عدوهم ،فأصابهم الوهن والانكسار" وماذا جنوا من وراء ذلك ، سوى هجين لغوي لا هو بالعربي ولا بالفرنسي أو الانجليزي ، إنه تماه وذوبان في الآخر دون أن يقبله، وفقدان للهوية و الانتماء "[6]
- ❖ استبدال العربية بهجين لغوي .

–الباب الثاني: مراحل اللغة العربية في منظومة التعليم العالي

إن اللغة العربية في منظومة التعليم الجزائري شهدت مراحل ثلاث[7]:

المرحلة الأولى:

وهي مرحلة الستينيات أو ما سميت مرحلة المورث و المخلف الفرنسي؛ وفي هذه الحقبة كانت العربية واللغات الشرقية تدرسان بالفرنسية، وكانتا أحد أقسامها. وأما كلية اللغة العربية فلم يظهر إلا في سنة 1968م عندا صدر مرسوم يقضي بإعطاء الضوء الأخضر للإجازة بالعربية. وسبقه تأسيس الفرع المعرب للحقوق سنة1967م[8]. وبذلك أصبح الأدب العربي يدرس في ذاته وبلغته، إلا أنّ الإقبال عليه ظل قليلا. وعلى العموم فإنّ لغة القرآن في هذه الفترة سارت بوتيرة بطيئة في التعليم العالي، ولم تخرج عن تواجدها في أقسام الآداب، وبعض مساقات في الحقوق.

ومما يعاب على هذه الفترة أنّ الظروف أعطت للغة الفرنسية روح الريادة، وأن التراتب اللساني كان في صالح اللغة الفرنسية، فكانت لغة الانتقاء الاجتماعي. فأغلب المدرسين سبق أن تلقوا تكوينهم الأكاديمي بالفرنسية، ومن يتحكم شيئا في العربية يدرس بها، فكان يحتاج إلى إعادة تكوين حقيقي لغوي ومعرفي، في الوقت الذي عرفت اللغة العربية نقائص في نظامها النحوي

والمعجمي والمصطلحي وفي طرائق تدريس، إلى جانب غياب مشروع حقيقي لتصحيح وضع اللغة العربية ثقافة وتدريسا، ووضع لساني سائد كانت الفرنسية (لغة الكولونيال الفرنسي) هي السيد، في الوقت الذي تستفيد منها الشرائح الاجتماعية المحظوظة في الواقع، وتطالب الفئات المحكومة بالتعريب أملا أن تقيم تكافؤا بين سائل أفراد المجتمع. ظهرت إلى الوجود في هذه المرحلة جامعة واحدة، ومركزان جامعيان، وأربع مؤسسات عليا. وهي :

- ❖ جامعة الجزائر.
- ❖ المركز الجامعي بقسنطينة.
- ❖ المركز الجامعي بوهران.
- ❖ **وأما المدراس العليا، فهي:**
- ❖ المدرسة العليا المتعددة التقنيات بالحراش.
- ❖ المعهد الفلاحي بالحراش.
- ❖ المدرسة العليا للتجارة بالجزائر.
- ❖ المدرسة العليا للأساتذة بالقبة.

2- **المرحلة الثانية:** سميت هذه المرحلة بمرحلة التعريب ،إذ أن الشيء الإيجابي في هذه الحقبة أن العربية بدأت تأخذ الحيز الأوفى في منظومة التعليم العالي، وذلك في المخطط الرباعي (70-1974) الذي طرح تعريب المواد الإنسانية، إلى جانب اصلاح التعليم العالي لسنة 1971م[9]، والقاضي بأن تأخذ اللغة العربية حيزا أكثر مما كان. وفي هذه المرحلة تم:

- ❖ 1/2- تعريب بعض الأقسام تعريبا شاملا.
- ❖ 2/2- توحيد أنماط التعليم، بإدماج التعليم الأصلي التابع للشؤون الدينية.
- ❖ 3/2- افتتاح الفروع المعربة الأخرى كالرياضيات.
- ❖ 4/2- إنشاء اللجان الدائمة في كل جامعات لمتابعة عملية التعريب..

ورغم ما أنجز لصالح اللغة العربية، إلا أنّ الفترة أنتجت جيلين متناقضين، من موروث الفصل بين التعليم العام والتعليم الأصلي، وهما:

- ❖ **جيل مفرنس:** لا يفهم العربية، وهذا الجيل خريج جامعة جزائرية ببرنامج مورث.

- **جيل معرّب:** لا يفهم الفرنسية بتاتا، وهذا الجيل في أصله كان من تلاميذ ثانويات التعليم الأصلي والزوايا والمدارس الحرة، وبعضهم من أولئك التلاميذ الذين تلقوا تكوينا بسيطا في السجون، وبعضهم الآخر من التلاميذ العائدين من البلاد العربية يزاولون دراساتهم بالعربية أثناء فترة الاحتلال، فدخلوا الجامعة إثر الاستقلال.

وإلى جانب ذلك التناقض، عرفت المرحلة بعض الوضعيات الصعبة، مثل:

- عدم تكافؤ في الحظوظ بين العربية والفرنسية. فلقد أشار المخطط الرباعي إلى تعليم اللغات الأجنبية لغاية التبادل والانفتاح على الثقافات الأخرى، واعتبارها واسطة لامتلاك العصرية، وسكت عن ذكر اللغة الفرنسية ذات الخصوصية، فعدّها مثلها مثل اللغات الأجنبية الأخرى. وهذا ما كرس ضمنيا دونية اللغة العربية في السياسة التعليمية.
- سكوت المخطط الرباعي عن قضية تعريب المواد العلمية، وعن التعدد اللغوي والاختلاف الثقافي، وهذا موقف مبرر لوضعية عرفتها الجزائر منذ الاستقلال.

ولقد أضحى الشباب المتخرج من الجامعة الجزائرية آنذاك يعيش شرخا لغويا، بعضهم لا يتحكم في لغته، وبعضهم لا يتحكم في الفرنسية، وكان ذلك امتداد للمرحلة الثانوية التي عرفت تخصيص أقسام معربة وأقسام مفرنسة، وكاد أن يضيع الطالب، بل كان أحد الأزمات في الصراع بين المعرب والمفرنس. وظهرت بعض المناوشات في التنظيمات الطلابية آنذاك، وفي حملات التطوّع.

ومع كل ما قدم في هذه الفترة إلا أنّها لم تمر بسلام، ويمكن اعتبارها مرحلة تأسيسية لتأخذ اللغة العربية في الجامعة مكانها، رغم تلك النقائص التي سجلتها "استبانة الألكسو"[10] سنة 1979 من تدهور الوضع اللغوي بسبب هذه النقائص:

- ضعف الذخيرة اللغوية لدى الطلبة المعربين.
- قلة إطلاع المدرسين على الجديد في مجال العربية.
- الازدواج اللغوي بين الفصيح العربي وعاميه.
- القصور في إعداد مدرسي اللغة العربية.
- تقسيم اللغة إلى فروع لا يتماشى مع طبيعة اللغة هي وحدة متكاملة.

وأمام هذه النقائص مازال بعض أعضاء الهيئة التدريسية مشرقية، والبرنامج مستورد في أكثره، مع محتواه اللغوي والعلمي، اللهم بعض اللمحات البسيطة عن الأدب الجزائري المدون في الأربعينيات. وفي الجانب الآخر نرى المدرسة العليا للأساتذة قد سجلت طفرة نوعية في مجال توظيف اللغة العربية، ولكن بإطار وببرنامج مشرقي في الكثير من الحالات. وأما المدارس الأخرى والكليات الجامعية فلا يذكر فيها إسم اللغة العربية.

وما يمكن أن يسجل على هذه المرحلة التي رفعت شعار الثورة الثقافية، أنّ النظير الثوري رأى أنّ التعليم أساس التنمية، وهو السبيل إلى اقتصاد المعرفة، وإنّ الثورة التي تصنع الفكر لا يمكن أن تبرز إلا إذا حصلت معها ثورة في اللغة، أي مراجعة اللغة وبعض لأصولها وإجراء تحوّل في طرائق استخدامها، ولكن كان ذلك من باب التنظير، حيس سجل التعجيم[11] بعد العام في مناحي الحياة، وعرفت المرحلة ازدواجية متوحشة[10]، لأنه حصل حصار لساني للعربية على أنّها عاجزة على تنظيم تواصلها بطريقة علمية.

3- **المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة الثمانينات وما بعدها، وفيها وضع مشروع لتعريب التعليم العالي المستمد من مبادئ الميثاق الوطني سنة 1979م. وعرفت الجامعة اضراب 79-1980 والذي عجل باستصدار القرار السياسي القاضي بتعريب العلوم الإنسانية، وشهدت الفترة ما يلي:

- ❖ تحويل الأساتذة المدرسين للعلوم الاجتماعية بالفرنسية إلى التدريس بالعربية.
- ❖ السير في وضع المصطلحات العلمية.
- ❖ تطوير سياسة الكتاب المعرّب.
- ❖ ترقية الدراسات العليا.
- ❖ تدعيم التعاون العلمي بين البلدان العربية.
- ❖ تنظيم ملتقيات لمعالجة ظاهرة القصور اللغوي بالعربية لدى هيئة التدريس.
- ❖ تنظيم دورات تدريبية لفائدة أساتذة اللغة الفرنسية الذين تعربوا.

المبحث الثاني: الصعوبات التي مرت بها اللغة العربية في الجامعة

بعد أن بدأت العربية تأخذ الحيز اللائق بها في دواليب التعليم العالي، بعد تعريب العلوم الإنسانية. ولكن المرحلة اصطدمت بصعوبات عدة، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1- إن تحويل الأساتذة المفرنسين والمدرسين للعلوم الإنسانية للتدريس بالعربية تم دون تخطيط عقلاني. فعدد لا يستهان به من الأساتذة المجبرين للتدريس بالعربية لا يتقنون العربية وأكثرهم تلقوا تكوينهم بالفرنسية. وبعضهم من كبار السن، يصعب عليهم خوض غمار إتقان اللغة العربية، وكان ذلك أحد الأسباب التي أدّت بهم إلى إلقاء دروسهم ومحاضراتهم بالعامية. فسببت تلك العملية نفورا لدى المتمدرسين، على أن العربية ليست رقية على أفواه أساتذتهم فكرس ثانية دون اللغة العربية، وبفعل ذلك تأخرت سيرورة التعريب في الميادين العلمية بالعجز الموسوم على اللغة العربية، والتي وصفت بأنّها لا يمكن أن تكون رافدا للمعرفة الحديثة، والشيء الذي يقتضي تطويرا أولا، ونعلم أن ذلك يتطلب زمنا وتكلفة وإجماعا قوميا، وهو فعل نج فيه مخططوه.
2- نقص المراجع باللغة العربية وافتقار بعض الكتب المعربة إلى الدقة العلمية التي ينصّ عليها البحث العلمي.
3- قلة استخدام الوسائل والمعينات التعليمية الحديثة.
4- بقاء التعليم العالي في نمطية مغلقة، وببرامج منسوخة، يحدث فيها تغييرات تجميلية.
5- عدم الاهتمام بالندوات والرسكلة، وخلايا البحث التربوي.

وأدّت هذه المعطيات الأولى إلى أن تقيم في أوائل التسعينيات، بأن تعطي نتائج سلبية، بل ويحصل أن ترفع هذه الشريحة صوتها بإعادة النظير فيما قرر، وذلك ما جعل أولي الأمر يتريثون في المشروعات المتممة، ومن ذلك نشهد انحصارا من نوع خاص، ويتمثل في:

- التراجع عن التدريس بالعربية في بعض مواد العلوم الإنسانية في بعض الجامعات الوطنية.
- التخلي عن تدريس مادة المصطلحات في العاهد العلمية.
- السكوت عن السياسة المبرمجة لتعريب المواد العلمية، والآجال المحدّدة لذلك.
- بقاء الجامعة والمعاهد العليا تسير بوتيرة تقليدية، وعدم مسايرة المستجدات العصرية.

وهذه المعطيات صاحبتها مجموعة من فعاليات المحيط الخارجي الذي يشهد قفزات نوعية في اللغات الأجنبية بحثا وانتاجا. ومحيطنا العربي الذي يشهد انحدارا شاقوليا في كثير من فعاليات اللغة العربية، ويمكن التنصيص على هذه النقاط:

- ❖ المحيط العالمي الذي يحتفي بتقدم رهيب في مجال الإعلام الآلي.
- ❖ الإنتاج النوعي والرعيب والمتلاحق يوميا.
- ❖ العولمة اللغوية التي تسلطها اللغات الأجنبية على لغات الشعوب المختلفة.

وفي الجانب الآخر نشهد:

- ❖ الفقر اللغوي المزرى في مجال الانتاج المعرفي للغة العربية.
- ❖ فشل سياسة التعريب في أكثر الأقطار العربية.
- ❖ ضعف التخطيط اللغوي للمؤسسات الثقافية العربية، وغياب السياسة اللغوية المبنية على منهجية دقيقة.
- ❖ نقص الصرامة اللغوية في متابعة الأفكار والمقرحات المتعلقة بتطوير اللغة العربية.

المبحث الثالث : التحديات و الاصلاحات للنهوض باللغة العربية في الجامعة الجزائرية

بعد سردي للمراحل التي مرّت بها العربية في التعليم العالي، وتعرضي للصعوبات التي واجهتها في كل مرحلة، بصرت بنظرة جديدة تعمل على التغيير، ويبدو لي أنّها محك في الفعل التربوي للتعليم العالي الذي يحتاج إلى إصلاح جديد. وإن النظرة الجديدة التي أقدّمها في شكل مقترحات هي مناط القضاء على الصعوبات التي مثلت للعربية في تلك المراحل الأولى، بإضافة بعض المعطيات المتعلقة بالظرف الراهن. وكان عليّ أن أقدم هذه النظرة المتماشية مع الاصلاحات التي نرمي أن تعرفها الجامعة لاحقا، وهي:

أولا: إمضاء التّعريب الشّامل إلى غاياته يجعل من العربيّة أداةً للتّعليم والبحث العلميّ.و هذا ما ساعد السّودانَ على إمضاء التّعريب إلى غاياته أنّه البلد المسلم الوحيد الّذي تعيش فيه حيّةً في

الخلْوات أربعُ رواياتٍ للقرآن الكريم، و في الشّعر السّودانيّ تتجلّى ظاهرة التأثّر بالقران؛ يقول التّجاني يوسف:

تبارك الّذي خلــق من مضغةٍ و من علـق

سبحانــه مصـوّرًا من حمأة الطّين حــدق

شقّ الجفون السود و استلّ من اللّيل الفلق[12]

و يقول عبد الله محمّد عمر البنّا:

رياض الله بسّطها فكانت دليلَ وجوده و له الدّوام[13].

ثانيا: المنهجيّة القوميّة ضرورةٌ للتّمكين للغتنا العربيّة في التّعليم العالي و البحث العلميّ.

ثالثا: العمل بتقنيات الاستبيان أو دراسات الجدوى، لمعرفة مشكلات اللغة العربية في الجامعة الجزائرية وفي العاهد العليا، بغية تحصيل نقاط القوة لتدعيمها، ونقاط الضعف لتفاديها. وهذا هو العمل العلمي الذي تعمل به اللغات الحيّة من أجل سدّ النقائص التي تعرقل نموها اللغوي وانتاجها المعرفي. وسابقا لم يكن العمل بهذه التقنية التي تلبي طلبات المستهلك للغة باعتباره يتعرف صعوبات لغته وهو يوظفها. وفي هذه النقطة أريد أن أشير إلى ضرورة التكامل بين أنماط المنظومة التربوية عن طريق وصاية واحدة تعمل على الامتداد الطبيعي للبرامج والمحتوى اللغوي[14].

رابعا: إن اللغة العربية الآن لا يجب أن تناقش من خلال واجهة سياسية أو نقابية ترتبط بالروح العاطفية والمطلبية، فعلينا الابتعاد عن المناداة باستصدار القرار السياسي للتدريس بالعربية في كل الكليات، أو التعريب التدريجي. فعلى المنادين بذلك العمل على تهيئة الأرضية لذلك، وتأخذ مكانها دون قرار سياسي. وإننا لسنا في حاجة إلى قرارات جديدة فإن السنون تمر، ونحن نصدر قرارات وتوصيات، والمشكل ما يزال قائما، والأجدر بنا أن ننظر إلى الموضوع من زاوية علمية وأكاديمية تأخذ في الاعتبار العناصر المختلفة للمشكلة اللغوية. ولابد من التروي والتخطيط لجعل العربية لغة علمية أولا كحال اللغات المعاصرة ويكون ذلك حل نهائي، لكن يمكن إعداد برنامج

عمل شامل ومفصل من خلال اجتهاد المؤسسات الوطنية وبعض الأفراد والعلميين، لتصبح العربية لغة التعليم العالي. ولقد سئل الخبير حسام الخطيب عن الكيفية العلمية التي يمكن بها ان تصبح اللغة العربية لغة التعليم العالي، فأجاب، عليا أن نعمل على توفر هذه المعطيات[15]:

- ❖ بلورة المصطلح واللغة العلمية.
- ❖ إتقان اللغة العربية.
- ❖ توفير المادة العلمية بالعربية (الترجمة والتأليف)
- ❖ الاهتمام باللغات الأجنبية.

خامسا: لا توجد موانع تجعلنا لا نعمل في الاتجاه الذي يجعل اللغة العربية لغة علمية لها ما عليها من كمال ونقص، فهي ليست مقدسة، فمثلها مثل اللغات الأخرى، فهي معرضة للتطور، وستلحق الركب متى وقع الاهتمام بها. وينبغي التركيز على إزالة لحاجز النفسي عند البعض، والقاضي بأن اللغة العربية تختلف فلا يمكنها اللحاق بركب اللغات المتقدمة. ومن هذا الباب كان يمكن التجنيد من أجل التبليغ الحقيقي بأن العربية عندنا هي الوسيلة الحاسمة التي يستطيع بها الفرد الانتماء لمجتمع وحضارته، وهي قاعدة مداركة العقلية. فليس هذا القول دعوة إلى الشوفينية، بل هو شيء منطقي يلبي حاجتنا ويسهل أمور حياتنا ويحل مشاكلنا التعليمية. فلا نستطيع أن نكتشف علماء ونبرع في مختبر، ونتفهم طبيعة الكون وظواهر العلم إلا بعد أن يتخرج جيل ممن تلقوا علمهم كاملا في العربية.

سادسا: كسر حواجز اللغات وتوسيع مدارك فهمنا لمعنى الجوار، فنتعلم كمواطنين في كوكب واحد يعتمد بعضنا على الآخر، والمهم البحث عن الكفاءة العالية من خلال فهمنا للترابط القائم بين الشعوب، مع تشجيع التنوع الحضاري من خلال البرامج. وهكذا فالتعددية اللغوية أكثر من ضرورة، إن لم تقم على الاستلاب اللغوي الذي يعتبر مشكلا، فأما اللغات فيجدر بنا أن نتعلم الكثير منها وتفعيلها حقيقيا، والاستفادة منها بالعمل بمبدأ النفعية، ولذا يتطلب منا الوضع الحالي الإلمام الجيد بلغات العلم، فهي نافذة التفتح على النوعية. وعليه كان على التخطيط اللغوي أن يراعي المكسب اللغوي المحصل (الفرنسية) لا لغة مستعمر سابق يجب إقصاؤها، والذي يهم هو مدة ما تقدمه هذه اللغة. ولا يجب أن نقف عند لغة المكسب، بل أن نستفيد من اللغات

الأجنبية في اقسام الأدب العرب وكل العلوم الإنسانية، وإدخال مادتين سنويتين تدرسان بالعربية في الكليات التي تدرس باللغة الفرنسية. وهذا بغية تخريج أجيال تتحكم في لغتها أولا، ثم تتقن بنفس المثيل اللغات الأجنبية، أي ينبغي أن نعمل على تأهيل جيل مزدوج بمعنى الكلمة.

سابعا: إن ثورة العولمة تسارع وتتزايد أنماطها يوميا، وهذا يعني إعادة النظر في قرارات وإجراءات تتناسب مع الزمان والمكان والتعليم الجديد، ويعني بشكل آخر إنه لا يمكن أن تبقى هذه الجامعات والمدارس العليا تقليدية تعلم الطلاب ولا تدربهم، تخرج أجيالا أعينهم نصف مفتوحة، فلم لا تتجاوب مع حركية العالم.

وهكذا ظهر جليا أنه لابد من تصميم وإعداد وسائل عصرية لمواجهة التحديات العصرية والآتية قريبا. فنحن في عصر التقنية وتوظيف البريد الإلكتروني والبريد الصوتي، كان الأجدر على الجامعة أن تكون معاصرة لهذه الأنماط، فإن عولمة الكليات ومراكز البحوث آتية. فما موقعنا في هذا التغير وما موقع اللغة العربية في هذا التحول؟ إنه بات من الضروري ان التنافس القادم على أساس نوعية البرامج ومدى قابلية الجامعة لتطبيقها وكيفية تأهيل وتدريب الطلبة على النجاح، بضمان إتقان اللغة الأم، واللغات الأجنبية. ولا نقف في هذه النقطة، بل نشير إلى ضرورة إيجاد جامعات تعتمد أسلوب لتعليم بالانتساب أو بالمراسلة أو التعليم على الهواء أو الجامعة الشعبية أو العمالية أو الجامعة المفتوحة أو الجامعة المفترضة. أي بات الأمر ملزما بضرورة توسيع شبكة الجامعة لتأخذ أشكالا متنوعة، وبأنماط معاصرة، وفي ظل استراتيجيات المستقبل دائما، وهذا يتطلب الانفتاح وفق معايير ننظمها ومناهج لتهيئة قواعد التعاون بين القطاع العام والقطاع الخاص من أجل تقوية دور الجامعة في المجتمع.

ثامنا: التخطيط اللغوي ضمن سياسة وطنية تعمل على وضع خطة مناسبة لتعميم استخدام العربية في الجامعة. " إن موضوع تراجع اللغة العربية يتطلب تشخيص الواقع اللغوي والوقوف على أسباب تراجعها ثم العمل على النهوض بها للخروج بقوانين ترسمها كلغة وطنية وبحثية"[16] وهذه السياسة تكون من البنيات التحتية التي تعمل الدولة على تحيينها وتمويلها، ورقيها داخليا عن طريق البحث في مختلف علومها، من أدب ونحو ورياضيات وفيزياء وإعلام آلي... لجعلها سليمة لغة للعلم والتعليم. وكذلك رقيها خارجيا عن طريق تفعيل مجامعها ومؤسساتها الثقافية الأخرى. ولقد

كان هذا العمل مجسدا في أكثر من موقع إلا أنه لم يخرج عن دائرة الاجترار والتعقيد اللذين لا يقدمان أدنى حركة في تغيير البنية التحتية للغة. وأضحت المؤسسات أسيرة بعض الآراء المنافية للتطوّر.

تاسعا: لا مانع من الاستبصار بالتخطيط اللغوي الجامعي الذي اتبعته كل من سوريا والأردن والسودان في مجال ترقية اللغة العربية، ولقد أعطت بعض الخطط نتائج محسنة، وخاصة في سوريا والسودان. ولا يمكن ان نطبق تلك الأنماط الفعلية كما هي حيث يمكن التفعيل حسب الخصائص والمعطيات التي نتحكم فيها، ولا يجب أن نعود إلى العمل عن طريق الاستيراد لبرامج ومضمون ونطبقه عنوة على طلابنا، ويبقون دائما يعيشون في التجارب.

عاشرا: تكوين هيئة تدريس مزدوجة في العلوم، فيشترط في كل متخصص في المواد العلمية أن يتقن لغة أجنبية واحدة على الأقل، وهي اللغة التي تمكنه من الاطلاع على المبتكرات الحديثة، والإفادة منها في المصطلحات العلمية. وهنا ينبغي تفعيل المدارس العليا لتخريج هذا النوع من الإطار المتقن للغات.

أحد عشر: إجبار طلاب الدراسات العليا الممنوحين في الدول الغربية بترجمة أطروحاتهم إن امكن، أو تقديم ملخص بالعربية. وبنفس الطريقة يحصل لطلاب الدراسات العليا في الوطن بتقديم ترجمة إلى العربية لكل أطروحة نوقشت باللغات الأجنبية.

ثاني عشر: إقامة مؤسسات الترجمة تعمل على ترجمة المصطلحات الأجنبية إلى العربية وتترجم إلى اللغات الأخرى. وإنه لا تكفي مؤسسة واحدة، بل إن العمل العلمي الجبار يستدعي تجنيد قوى كبيرة من أجل سد هذه النقائص، وهنا يجدر بنا أن نعمل على إقامة مؤسسات تختص بالترجمة بكل أنواعها. والإفادة من الكتب العظيمة التي عملت اللجان العلمية على ترجمتها من أمهات اللغات العلمية.

ثالث عشر:الاهتمام بالجانب التطبيقي، وإنه لا يكفي أن يبقى الطالب في الجامعة يعيش في التنظير، وتلك أحد مصائبنا حتى أصبحت أفكارنا جماعة لا محللة، وأصبحنا نعيش القرون المظلمة في نمط آخر، فما أحوجنا إلى تجسيد النظري في أشكاله التطبيقية، وإيلاء التقنيات المعاصرة كل

الأهمية باللغة العربية، لجعلها منتجة قبل أن تكون مستهلكة والاهتمام العلوم التطبيقية على وجه الخصوص.

رابع عشر: الاهتمام بمدرس اللغة العربية الذي يعد أسا في العملية التعليمية، ومعاجلة ضعف مستواه اللغوي، ورعاية المدرس الجامعي بصفة عامة، والتأهيل الدائم لأعضاء هيئة التدريس الجامعية، عن طريق الترقيات.

خاتمة :

تعتبر لغة التدريس في الجامعة الجزائرية وخاصة في الكليات الهندسة والطبية من المسائل التي شغلت الكثير من المهتمين بتطوير قطاع التعليم العالي وعلى الرغم من اتفاق الأغلبية على ضرورة التدريس باللغة الفرنسية والانجليزية؛ فلا يزال عدد من أساتذة الجامعة يعارض هذا الاجماع ، وعليه نؤكد على أهمية استخدام اللغة العربية في التعليم الجامعي ، وعليه يجب وضع استراتيجيات مركزة من قبل مختصين لأن الوضع متأزم وإفرازات العولمة لا تصب في صالح اللغة العربية ،التي لا تعد في حاضرنا لغة علمية وصناعية .

والذي يمكن قوله في الأخير أنه إن أمكن إعادة الاعتبار للغة العربية في منظومة التعليم العالي الجزائري ، فستترسخ مبادئ الهوية في نفوس الطلبة ،ثم في نفوس المجتمع بجميع فئاته ، و يمكن حينئذ العمل على جعلها لغة البحث العلمي وبالتالي سنري بلادنا في مصاف الدول المتقدمة لأن الكفاءات العلمية متوفرة ،ولا ينقصها سوي التشجيع ، وهذا إن كان حلمنا بعيدا؛ لكن ليس بالمستحيل .

التّوصيات:

في هذ الدّراسة للغتنا في التّعليم الجامعيّ و البحث العلميّ، محاولةٌ لاستكشاف الواقع، ونظرةٌ لآفاق المستقبله لذا هناك مجموعة من التوصيات التي أقترحها من خلال هذا الملتقي القيم الموسوم ب: **"الملتقي العلمي الأول حول التعليم العالي وتعليمية اللغات في الجامعة الجزائرية "**

- أن يتّفق وزراء التّعليم العالي العربَ على خطّةٍ جامعةٍ لتدريس كلّ العلوم باللّغة العربيّة الجامعة.

- أن يهتم وزراء البحث العلمي ومديري مراكز البحوث بتوطين لغتنا العربيّة الجامعة في كلِّ البحوث العلميّة.

- أن يؤلّف الأساتذة و الباحثين العرب كلٌّ بحثًا في تخصّصه الدّقيق بالعربيّة الجامعة، وأن يترجم أخرمن لغةٍ يتقنها إلى العربيّة، وأنْ يُدخل المؤلَّف والمترجَم إلى الشّابكة؛ رفعًا للرّصيد والمحتوى الرّقميّ العربيّ.

- أن تُنشئ جامعة الدّول العربيّة مجمع اللّغة العربيّة القوميّ، تكملةً لاتّحاد المجامع العربيّة؛ من أجل توحيد المصطلحات، وإقرار المعاجم، وتنظيم السّياسة اللّغويّة القوميّة.

الهوامش :

1– George HEGEL, La Grande encyclopédie, inventaire raisonné des sciences, des lettres et des arts, Allemagne 1830,Volume 19. Thème langue .

2- علي إسماعيل، المنهج في اللّغة العربيّة، ، مكتبة وهبة– القاهرة، الطبعة الأولى 1418هـ

3–علي شمّو، لغة الاتّصال في عصر المعلومات، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة ، السّودان1434هـ ، العدد 9

4–عليّ القاسميّ، اللّغة العربيّة و موقف المجتمعات العربيّة منها في التّعليم، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة ،القاهرة، العدد 123.

5–فاطمة محمّد الخير، تصميم مقياسٍ لقياس التّربيّة البيئيّة لدى طلبة المرحلتَيْن الثّانويّة و الجامعيّة، مجلة آداب جامعة الخرطوم يونيو2014م ، العدد 32،

6- باديس لهويمل ، اللغة العربية في عصر العولمة والعلمانية واقع وتحديات،ص2

7-مولود قاسم ،اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام وأساليب النهوض بها في الجزائر، منشورات مجمع اللغة العربية، الأردن، ص 119-.139

8- شهادة الخوري، القضية اللغوية في الجزائر وانتصار العربية، مطبعة الكتاب العرب، دمشق 1991 ،ص53

9/http://www.journal.cybrarians.org/index.php?option=com_content&view=article&id=709:madel&catid280:papers&Itemid=103

10- http://www.alecso.org/nsite/ar

11- عبد القادر الفاسي الفهري ،عن التربية والتعليم واللغة عند علال الفاسي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط 2000، ص19

12-A. Moatassame , Le bilinguisme sauvage , Revue du tiers-monde.Tours , Décembre 1974 , p 6225

13- التجاني يوسف بشير، مجلة الرسالة، ديوان إشراقة، 1939،العدد 317

14- عبد الله محمّد عمر البنّا، قصيدة هذا هو زمانك، عمارة البنا، البطانة، 1972م

15-حسام الخطيب ،العربية لغة التدريس في التعليم العالي، مجلة الوحدة ،المجلس القومي للثقافة العربية، العدد 72 ،ص 41-49

16-ابن خلدون ،المقدمة المسمي : ذوات المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ، طبعة بيروت دار الفكر2007،ص 721